خطبة الجهاد للإمام علي(عليه السلام)
دراسة في ضوء شعرية الإنزياح

المدرس الدكتور
ظاهر محسن جاسم
كلية الآداب / جامعة الكوفة

خطبة الجهاد للإمام علي(عليه السلام) دراسة في ضوء شعرية الانزياح

المدرس الدكتور
ظاهر محسن جاسم
كلية الآداب / جامعة الكوفة

الخلاصة:

يهدف هذا البحث لدراسة نص من نصوص نهج البلاغة، وهو خطبة الجهاد للإمام علي عليه السلام في ضوء شعرية الانزياح وهو في مبحثين: الأول: جهاد نظري يضم مفهوم الانزياح، وأهمية خطبة الجهاد،في حين كان المبحث الثاني :الانزياح في خطبة الجهاد في نوعين: إنزياح إستبدالي وتضمن كلّاً من الاستعارة والمجاز يؤازرها الانزياح الصوتي من طباق وجناس وتكرار.أما النوع الثاني فهو الانزياح التركيبي من حذف وتأخير وإضافة واعتراض وكل ذلك كان مستوحى من القرآن الكريم، فهو يجسد الأمور المعنوية تارة، وتارة أخرى يستعمل الأفعال المتضادة المختلفة لتصوير المواقف المضطربة لرعيته وتهربهم من فريضة الجهاد .

قال الإمام عليه السلام:
((قيمة كلّ امرئٍ ما يُحسنه))
نهج البلاغة،شرح محمد عبده:٤٥٨.

مدخل:

لا شك في أن الإمام علي (عليه السلام) سيد الفصحاء وأمير البلغاء، فهو ربيب الوحي وصنو النبي المصطفى (صلّ الله عليه وآله وسلم)لذا كان أسلوبه متأثرا بالقرآن الكريم في خطبه ورسائله وحكمه. فهو وافر الاستعارات والمجازات والكنايات ،فمثلما يمكن أن ندرس القرآن الكريم بالمناهج الحديثة يمكننا دراسة نصوص نهج البلاغة بأساليب المناهج الحديثة لما تتضمنه من إبداع فني وجمال أدبي،لذلك حاول

الباحث دراسة إحدى خطب نهج البلاغة وهي خطبة الجهاد في ضوء شعرية الانزياح،فكان البحث في مبحثين: الأول مهاد نظري في مفهوم الانزياح ،ثم أهمية الخطبة ،ثم نص الخطبة.أما المبحث الثاني فكان في الانزياح في خطبة الإمام علي، وهو في مطلبين الأول: الانزياح الاستبدالي إذ رصد فيه الباحث الاستعارات والمجاز المرسل، وغير ذلك من انزياحات. في حين كان المبحث الثاني في الانزياح التركيبي تناول فيه الباحث الانزياحات التركيبية من تقديم وتأخير وحذف وتكرار وغير ذلك...ولقد اعتمد البحث على كتاب نهج البلاغة بشرح الشيخ محمد عبده.وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وسلام على سيد المرسلين محمد وآله الطيبين.

المبحث الأول:مهاد نظري

أولا: مفهوم شعرية الانزياح:

إنّ مفهوم شعرية الانزياح الذي نحن بصدد دراسته تجاذبته وتعلقت بدائرته مصطلحات كثيرة.فقد تباينت المسميات عند القدامى والمحدثين سواء أكانوا عربا أم من الأجانب كما تباينت ترجمة المصطلح نفسه عند العرب المحدثين[١].

فمن هذه التسميات التجاوز ،والانتهاك،والفضيحة،والشذوذ،وكسر البناء،والعدول... [٢].لقد ورد هذه المفهوم بصيغة(العدول) في سياقات كثيرة عند النقاد العرب القدامى واللغويين كما يصادفنا عند ابن جني (ت ٣٩٥هـ)،وابن سينا (ت٤٢٨هـ)، والزمخشري (ت٥٣٨هـ) ، وابن الاثير(ت٦٣٧هـ)،والعلوي (ت٧٤٩هـ)، والسبكي(ت٧٧٧هـ) [٣].

فهم في الغالب يذكرونه بصيغة (عدل) وأحد مشتقاتها،من ذلك ما ذكره الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز في معرض حديثه عن الكناية والاستعارة والتمثيل الجاري مجرى الاستعارة إذ يقول:((وكل ما كان فيه على الجملة مجاز واتساع وعدول باللفظ الظاهر...)) [٤]. لكن هل يمكن عد هذه الألفاظ بمعنى الانزياح بالمعنى الدقيق لاعتقد ذلك ،لان القصد من استعمال هذه المسميات عند النقاد العرب القدامى هو خدمة النص القرآني واثبات إعجازه في حين أن النقاد واللغويين الغرب أرادوا إثبات جمالية النص الأدبي وإبداعه. ويقابل هذا المصطلح عدد كبير من المصطلحات عند النقاد الغرب فنرى بول فاليري يتبنى الصوت الدال على الـ(تجاوز) وعند تيري (كسر البناء)،وعند تودوروف(شذوذ) أما عند أركون فهو جنون.لتصبح كل هذه الأصوات مرادفة للانحراف [٥].

والانحراف هو الترجمة التي شاعت من الكلمة الانجليزية(Deviation) وهي كما يبدو أصح الترجمات[٦].

وتأتي بعد هذه الترجمة ترجمة أخرى هي(الانزياح) وهي أكثر شيوعا والانزياح مصدر الفعل الرباعي انزاح أي ذهب وتباعد[٧].

وثمة مصطلحات أخرى لهذا المفهوم الَّتي تجاوز الأربعين مصطلحا منها: الاحتلال والأطلال والشناعة والخلل والخطأ والعصيان والانحناء والإطاعة... [٨] ومهما تعددت المفاهيم والمصطلحات يبقى مدلول هذا المفهوم أحد المفاتيح الرئيسة في منهج التحليل الأسلوبي، ومنهج تطبيق الشعرية.فقد ذهب الدكتور أحمد مطلوب إلى أن معنى الشعرية ينحصر في اتجاهين هما:

الأول: فن الشعر وأصوله التي تتبع للوصول إلى شعر يدل على شاعرية ذات تميز وحضور أنها ((تسعى إلى معرفة القوانين العامة التي تنظم ولادة كل عمل))[٩].

الثاني : الطاقة المتفجرة من الكلام المتميز بقدرته على الانزياح والتفرد وخلق حالة التوتر،وهذا ما يراه أبو ديب في أن الفجوة ما هي إلا انزياح عن الأصل اللغوي أو انسحاب ،يقول : ((ويمكن أن نسحب مفهوم البنية السطحية والبنية العميقة من مستوى الجمل اللغوية الأولية إلى مستوى النص ..الكامل،وبهذا الانسحاب يصبح جليا أن الفجوة تنشأ بين البنية السطحية والبنية العميقة في نص كامل ليست وظيفة من وظائف التشكيل اللغوي للنص فقط ،بل وظيفة من وظائف الحقول الدلالية والترابطات وعلاقة التشابه والتضاد وثنائية الحضور والغياب وانساق الوزن والإيقاع وانساق الصورة ...)) [١٠].

إنّ ما يعرف بـ(الانزياح) هو وظيفة من وظائف الشعرية تتجلى هذه الوظيفة في طبيعة العلاقة بين البنية العميقة والبنية السطحية وتتجلى هذه الوظيفة في علاقة التطابق المطلق أو النسبي بين هاتين البنيتين فحين يكون التطابق تاما تنعدم الشعرية أو تخف إلى درجة الانعدام ،وحين تنشأ خلخلة وتغاير بين البنيتين تنبثق الشعرية وتتفجر فالتناسب طردي مع درجة الخلخلة في النص[١١].

لقد كان الانزياح أو الفجوة (مسافة التوتر) عند كمال أبو ديب الفضاء الذي ينشأ من إقحام مكونات الوجود،أو اللغة وينتمي إلى ما يسميه جاكوبسن (نظام الترميز) في سياق تقوم بينهما علاقات ذات بعدين متميزين[١٢]. وربما أخذ أبو ديب هذه التسمية (مسافة التوتر) من رتشاردز إذ شبه الاستعارة بين طرفين متباعدين بقوس طرفاه متباعدان إذ يقول: ((إنّ التوتر الذي ينشأ عن اقتران طرفين بعيدين يشبه التوتر الناتج من قوس ذي طرفين متباعدين،إذ إن هذا التباعد هو السبب في قوة السهم المنطلق وسرعته))[١٣].

وقد أشار عبد السلام المسدي إلى أن كلّ التيارات التي تعتمد الخطاب أساسا تعريفيا للأسلوب تنصب في مقياس تنظيري هو بمثابة العامل المشترك الموحد بينها،ويتمثل في مفهوم الانزياح.ويذهب إلى أن الواقع اللغوي يعد بمثابة (الأصل) ثم إن عملية الخروج عنه لواقع طارئ[١٤].

وقد استطاع الدكتور صلاح فضل أن يجلي تقنية الانزياح في خمسة نماذج هي:

الأوّل: يهتم بدرجة انتشاره في النص ويأخذ في اعتباره معدلات التكرار شديدة الارتفاع لوحدة معينة.

الثاني: يمثل الانزياحات اللغوية سلبية كانت أم ايجابية.

الثالث:يشمل العلاقات بين القاعدة والنص فيميز بين الانزياحات الخارجية في اختلاف أسلوب النص عن اللغة المدروسة والانزياحات الداخلية في انفصال وحدة لغوية معينة من القاعدة المسيطرة على النص.

الرابع: ينبني على التمييز بين الانزياحات المختلفة الخطية والصوتية والمعجمية والنحوية والدلالية.

الخامس: تعتمد الانزياحات على وفق تأثيرها على مبدأ الاختيار في الوحدة اللغوية[١٥].

وخلاصة القول :إنّ الانزياح هو شرط ضروري لكل شعرية ،فالشعرية ذات وجهين متعايشين متزامنين:الانزياح ونفيه،تكسر البنية وإعادة التبنين.ولكي يحقق النص شعريته ينبغي أن لا تكون دلالته مفقودة أولا،ثم العثور عليها،وذلك كله في وعي القارئ[١٦].

ثانيا:خطبة الجهاد للإمام علي (عليه السلام):

خطبة الجهاد للإمام علي (عليه السلام) من الخطب التي أولاها النقاد واللغويون القدامى جل اهتمامهم إذ ذكرتها أغلب كتب الأدب العامة ومنها:

١. البيان والتبيين للجاحظ (٢٥٥هـ) في الجزء الثاني منه[١٧].
٢. الكامل في اللغة والأدب للمبرد (ت٢٨٥هـ) [١٨].
٣. العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي في الجزء الثالث منه[١٩].

وتتضمن الخطبة الجوانب الآتية:

١. الجانب الإيديولوجي (الديني) يشمل المحاور الآتية:

التذكير بأهمية الجهاد ومكانته عند الله.

والوعظ والإرشاد، بذكر عاقبة من يترك الجهاد.

٢. الجانب السيكولوجي (النفسي):

الترغيب في الجهاد والحث على ذلك بذكر ما ترغب فيه النفوس.

الترهيب فيمن رغب عن الجهاد.

التوبيخ لما نالهم من ذل وأذى بإثارة حميتهم تجاه أعراضهم من دخول الرجال الأجانب على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة وانتزاع حليهن منهن غصبا.

٣. الجانب التعبيري (الإبداعي)

استعمال اللغة استعمالا أدبيا من خلال الانزياح الاستبدالي والتركيبي من خلال توظيف الانزياحات، من استعارات وكنايات ومجاز مرسل،وتكرار التقديم والتأخير والحذف والذكر والإطناب والإيجاز...وغير ذلك.

التوظيف الصوتي توظيفا موسيقيا في الطباق والجناس والسجع والتقابل الصوتي بين المفردات.

ثالثا: نص الخطبة :

((أمَّا بعد : فإنَّ الجهاد باب من أبواب الجنة،فتحه الله لخاصَّة أوليائه،وهو لباس التَّقوى،ودرع الله الحصينة،وجنته الوثيقة،فمن تركه،رغبة عنه،ألبسه الله ثوب الذّلّ وشمله البلاء،وذُيِّث بالصغار والقماءة،وضرب على قلبه بالاسداد،و أديل الحقُّ بتضيع الجهاد،وسيم الخسف،ومنع النصف،ألا و أنّي قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا،وسرا وإعلانا، وقلت لكم : (أغزوهم قبل أن يغزوكم ،فو الله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا). فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات،وملّكت عليكم الأوطان.وهذا أخو غامد قد وردت خيله الانبار ،وقد قتل حسان بن حسان البكري، وأزال خيلكم عن مسالحها،ولقد بلغني: أنَّ الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهد فينتزع حجلها،وقلبها،وقلائده ورعاثها،ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام،ثم انصرفوا وافرين،ما نال رجلا منهم كلم،ولا أريق لهم دم.

فلو أنَّ امرأ مسلما مات . من بعد هذا . أسفا ما كان به ملوما بل كان به عندي جديرا.فيا عجبا! . ولله يميت القلب ويجلب الهم . من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم فقبحا لكم وترحا.حين صرتم غرضا يرمى يغار عليكم ولا تغيرون،تغزون ولا تغزون،ويعصى الله وترضون.فإذا آمرتكم بالسير إليهم في أيام الحرّ،قلتم : (هذه حمارة القيظ أمهلنا يسبّخ عنا الحرّ)،وإذا آمرتكم بالسير إليهم في الشتاء،قلتم : (هذه صبارّة القرّ أمهلنا ينسلخ عنا البرد)،كلُّ هذا فرارا من الحر والقر، فإذا كنتم من الحر والقر تفرون،فإذاً انتم والله من السيف افر. يا أشباه الرجال ولا رجال! حلوم الأطفال،عقول ربات الحجال، لوددت أنّي لم أعرفكم معرفة،والله،جرَّتْ ندماً،وأعقبت سدماً. قاتلكم الله! لقد ملأتم قلبي قيحا،وشحنتم صدري غيظا ،وجرعتموني نغب التَّمام أنفاسا،وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان حتّى لقد قالت قريش: (إنَّ ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب).

لله أبوهم وهل أحد أشد لها مراساً وأقدم فيها مقاماً منّي؟لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين،وها أنا ذا قد ذرَّفت على السِّتّين،ولكن لا رأي لمن لا يطاع))[٢٠].

المبحث الثاني: الانزياح في خطبة الإمام علي (عليه السلام):

إنّ في سياق النص النثري في نهج البلاغة سواء أكان خطبة أم رسالة أم حكمة أو غير ذلك ما يدل دلالة أكيدة على أن المبدع قد استعمل اللغة استعمالا شعريا مؤثرا،وبأسلوب مستوحى من القرآن الكريم مما يضفي عليه من القداسة والإشراق ما يجعله عصيا أمام التحليل التقليدي القديم الذي يعتمد على الأساليب الانطباعية أكثر من استعمال الأساليب الفنية المعاصرة ،ذلك بأن النص ولد من رحم بيئة ثقافية

تاريخية معينة، لكنه يخاطب كل الأجيال على مر العصور لذا سيجد فيه كل جيل ما يناسب ميله الثقافي والجمالي ،ويدرسه وفق المنهج المعاصر المناسب لرؤيته ،وبما أن الانزياح يمثل لب الشعرية الحديثة وهو ما شغل اهتمام النقاد واللغويين . كما لاحظنا . حاول الباحث بيان ما في خطبة الجهاد من انزياحات أسلوبية كما سنلاحظ.

أولا . أنواع الانزياح في خطبة الجهاد :

أن خطبة الإمام علي . عليه السلام . تحفل بالانزياحات فهي تتضمن انزياحات مفردة في المفردات والجمل فضلا عن أجزاء كبيرة من النص فيها انزياحات كثيفة ومتنوعة،إذ إن الانزياح في النص لا ينحصر في جزء أو اثنين من أجزاء النص،بل تأتي الانزياحات بنوعيها ليؤازر بعضها بعضا، لذلك يمكن أن نقسم الانزياح على نوعين رئيسين تنطوي في ضمنهما كل أنواع الانزحايات[٢١] الأخرى وهما:

النوع الأوّل :الانزياح الاستبدالي:

هذا النوع من الانزياح متعلق بجوهر المادة اللغوية، مما سماه كوهن (الانزياح الاستبدالي) [٢٢].وتتمثل الاستعارة عماد هذا النوع من الانزياح، ونعني بها هنا الاستعارة المفردة، تتمثل في استعمال كلمة واحدة بمعنى مشابه لمعناها الأصلي، وهذا ما نجده في قول الإمام :((ملأتم قلبي قيحا)) [٢٣] فقد استعار كلمة (القيح) وهو الدم الفاسد المدّة[٢٤] بدلا عن (غضب) ، ثم يقول: (شحنتم صدري غيضا) والشحن هو ملء مساحة كبيرة ومنه شحن السفينة قال تعالى: (وآية لهم أنّا حملنا ذريّتهم في الفلك المشحون)[٢٥] أي المملوء ،((وجرعتموني نغب التهمام أنفاسا)) [٢٦] والتجريع غصب المرء على الشراب،والنغب الجرعة الواحدة والتهمّام الهم، أنفاسا أي جرعة بعد أخرى،والملاحظ استعمال الأفعال استعمالا مناسبا فقد استعمل الفعل ملء مع القلب للشبه بينه وبين الوعاء في حين استعمل الشحن للصدر والتجريع للشراب ولكنه استبدل الشراب بالهم.كذلك نجد انزياحا آخرا في قوله:((ألبسه الله ثوبَ الذلّ)) [٢٧] ولا نجد خرقا للتركيب النحوي، فالجملة تتكون من (فعل +فاعل + مفعول به) ولكن الانزياح يتمثل بالمنافرة الاسنادية إذ اسند الثوب وهو أمر مادي للذل وهو أمر معنوي ليجسم الذل ويجعله ظاهرا للعيان ذلك بأن البنية النفسية للمبدع قد تشكلت من خلال الارتباط بالبيئة القرآنية وبالانتقال إليه عن طريق النبي (صلىَ الله عليه وآله وسلم) لهي العامل الحاسم في إضفاء الطابع الخاص والمميز على الفعل الأدبي،حتى ليمكننا أن نلتمس ذلك في قوله تعالى: (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كلّ مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون)[٢٨].وأمَّا قوله: ((وضرب على قلبه بالاسداد)) [٢٩] فهو انزياح عن الأصل إذ جعل للقلب أذانا ثم ضرب عليه بالاسداد فاصمه عن سماع

الحق وكأنه ضرب عليه بالأستار، قال تعالى: (فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً)[٣٠] أي أنامهم نوما عميقا لا يجدي معه ضجيج الأصوات أو رفعها للتنبيه.

ومثل هذه الاستعارة المتأثرة بالقرآن نجدها بقوله: (وهو لباس التقوى) فقد استعار كلمة اللباس للجهاد وأسندها للتقوى بجامع الستر لأن الثوب يتقى به من الحر والبرد والعراء وربما هناك كلمة محذوفة هي (أهل) والتقدير(لباس أهل التقوى) فتكون من باب المجاز المرسل، ومنه قوله تعالى: (يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون [٣١]. إن الاستعارة التي تنفي الانزياح ما هي إلا نوع من المجاز المرسل ما دامت السمة المعبرة جزاء فعالا[٣٢] من النص ففي قوله عليه السلام:((وأزال خيلكم عن مسالحها)) [٣٣] مجاز مرسل علاقته الملزومية وهي إن يطلق اسم الملزوم على اللازم فقال (خيلكم) والمراد (الجند) لان الخيل من لوازم المقاتل والمراد بالنص انزياح من أزال جندكم من الثغور إلى أزال خيلكم.

أما قوله :((وملكت عليكم الأوطان)) [٣٤] فهو أيضا انزياح عن طريق المجاز المرسل علاقته الكلية إذ ذكر الكل (الأوطان) وأراد الجزء وهي مدينة الانبار فضلا عن ذلك فان ملكت على وزن (فعّلت) تفيد التكثير والاستعلاء والغلبة[٣٥].

إنّ الانزياح في اغلب الأحيان يأتي لمفاجأة المتلقي ويعتمد على التأويل والتقدير لفهم المقصود ،وهذا ما نجده بقوله: ((ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا وإعلانا...)) [٣٦] فالدعوة في الليل ممكنة،والدعوة في النهار جدا ممكنة ،والدعوة في الإعلان واضحة،ولكن ما المقصود بالدعوة بالسر؟ وهم جمع غفير!

دعوتهم بعيدا عن آذان وأعين العدو؟

دعوت الخواص منهم؟

الدعاء لهم في الخلوات؟

و ربما تكمن السرية في الدعوة للجهاد بأن الإسلام يترك للمسلم حرية اختيار الاشتراك في الجهاد لأنه إن اجبر على ذلك ربما لا يخلص في القتال أو يكيد بالمسلمين ويبث الفتنة في صفوف المجاهدين[٣٧].

كذلك يؤازر هذه المفاجأة الانزياحية، الطباق بين (الليل×النهار) و (السر×الإعلان) وهذا يظهر مدى تمثل الإمام علي (عليه السلام) لأسلوب القرآن الكريم ليظهره في أسلوبه وهذا ما نجده في قوله: (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كلّ مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون)[٣٨].

والملاحظ على النصوص السابقة أنها تمثل نسق من المقابلات الطباقية والجناسية مصحوبة بالاستعارات والمجاز فتقوم الشعرية في هذه الخطبة من الناحية الدلالة- وهي الأكثر ظهورا- على تجسيد المجردات وإطلاق القيم التي تشير إلى ممارسات إنسانية معروفة في تهرب القوم من الجهاد إلى صور مدركة بالتشخيص والآنسة[٣٩].

ففي قوله: ((فقبحا لكم وترحا،حين صرتم غرضا يرمي يغار عليكم ولا تغيرون وتغزون ولا تغزون ويعصى الله وترضون)) [٤٠] نلاحظ الجناس بين (قبحا وترحا). ثم الطباق بين (يغار عليكم ولا تغيرون) و(تغزون ولا تغزون) و (يعصى الله وترضون) .فالنص ينتدب الانزياح لخدمة الارتكاز في النص،عبر احتشاد ((الخروقات الصوتية والتركيبية بحيث تحسّ شعرية النص)) [٤١].

ويأتي المقطع اللاحق وهو غني بالانزياحات بشعرية التوازي التي تظهر المتضادات والمتقابلات لإنتاج لغة مجازية عبر التداخل،ويظهر ذلك في تمثيل الموقف المضطرب للقوم حين تعللوا بأوقات السنة المتضادة والمختلفة بين شدة الحر وصقيع البرد إذ يقول عليه السلام: ((فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتم هذه حمّارة القيظ أمهلنا يسبّخ عنا الحر، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم هذه صبارة القر أمهلنا ينسلخ عنّا البرد)) [٤٢].نلاحظ لانزياح الاستبدالي في (حمارة القيظ) أي شدة الحر،ويسبّخ أي يخفف.والملاحظ أنه استعمل الفعل (يسبّخ) ويعني يخفف مع الحر و(ينسلخ) بدلا عن (يذهب) مع البرد؛ لأن ذهاب كل الحر يؤدي إلى شدة البرد، في حين أن ذهاب البرد يؤدي إلى اعتدال الجو.ثم المقابلة الصوتية بين (يسبّخ) و (ينسلخ).والمهم من ذلك كله استعارة كلمة (سلخ) وتعني نزع جلد الحيوان[٤٣] لذهاب البرد.

وفي هذا المقطع النصي نجد فاعلية التكرار الصوتي : ((كل هذا فرارا من الحرّ والقرّ،فإذا أنتم من الحرّ والقر تفرون فإذاً . والله . أنتم من السيف أفر)) [٤٤]. نلاحظ تكرار صوت الراء ثمان مرات،ثم التقابل الطباقي الصوتي بين (حر ،قر) مرتين فالتكرار في حقيقته إلحاح على جهة هامة في العبارة يعنى بها الباث أكثر من عنايته بسواه. فهو يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة تكشف عن مدى خوف هؤلاء القوم وتخاذلهم،وهو بهذا المعنى ذو دلالة نفسية[٤٥].

ويعضد هذه الدلالة النفسية بثلاث تشبيهات يظهر فيها مدى جبنهم، هي: (يا أشباه الرجال)،و(حلوم الأطفال) ،و(عقول ربات الحجال)والملاحظ أن هذه العبارات مسجوعة من غير تكلف وان الكلمات الأخيرة على وزن واحد تقريبا (رجال /أطفال /حجال).

فالصورة كما يذهب جان كوهن ليست مجرد زخرفا لفظيا زائد بل أنها جوهر العمل الأدبي نفسه[٤٦]. إذ لا يمكن حذف إحدى هذه التشبيهات من غير إخلال بالنص ككل وكأنها صيغت صياغة محكمة وأفرغت إفراغا مبرما.

ويختم الإمام خطبته بانزياح استبدالي يقول فيه : ((ولكن لا رأي لمن لا يطاع)) [٤٧] ففي العبارة استعمل الإمام كلمة (رأي) بدلا عن كلمة (أمر) فتصبح العبارة (لا أمر لمن لا يطاع)،ذلك لان الرأي اعتقاد النفس احد النقيضين عن غلبة الظن [٤٨].كما أنه صرح بآمرهم في قوله: ((فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحرّ))[٤٩].

ثانيا . الانزياح التركيبي:

وهو الانزياح الذي يحدث عن طريق الربط بين الدوال بعضها ببعض في العبارة الواحدة أو التركيب أو الفقرة.ولا شك في أن تركيب العبارة في النص الأدبي يختلف عما سواه من عبارات في الكلام العادي أوفي النثر العلمي [٥٠].

ويأتي في مقدمة الانزياحات التركيبية الحذف والتقديم والتأخير والإضافة وتكرار عنصر أسلوبي والاعتراض وغير ذلك ... وهذه الانزياحات وثيقة الصلة بقواعد النحو حتى أن كوهن يسميها (الانزياح النحوي) [٥١].

أوّل ما يصادفنا حذف المبتدءات ففي قوله : ((درع الله الحصينة،وجنته الوثيقة)) [٥٢] حذف المبتدءان ويقدران بـ(هو) أي هو درع الله...وهو جنته الوثيقة.

ومن أساليب الحذف حذف الفعل المقدر الذي فاعله المصدر (أن امرأ) والتقدير(لوثبت كون امرأ) وحذف المفعول المطلق في قوله: ((مات بعد هذا اسفا)) [٥٣] فـ(أسفا) صفة للمفعول المطلق المحذوف (موتا أسف).

كذلك حذف المبتدءات من (حلوم الأطفال) فهي خبر لمبتدأ تقديره (حلومكم) ومثلها (عقول ربات الحجال) أي عقولكم عقول ربات الحجال كما أن في الجملتين الأنفتين إضافتين بلفظين متحدين في المعنى مختلفتين باللفظ،وهما (حلوم) وتعني عقول وقد أضيفت إلى الأطفال فجاءت مناسبة لها.كذلك كلمة عقول إلى ربات الحجال وهن النساء،والحجلة مخدع العروس الذي يزين ويضرب بالكلل[٥٤] وفيها تشبيهات تبين ضعف وسفاهة العقول.

ومن ذلك تقديم اسم الإشارة (هذا) في قوله:((هذا اخو غامد وردت خيله الانبار)) [٥٥] فلو أعدنا ترتيب هذه العبارة لفقدت تأثيرها في المخاطب ((إذ التأثير الأسلوبي يتلاشى حيث يكون الترتيب عاديا)) [٥٦].

ثم أن الإمام استعمل اسم الإشارة (هذا) وهو يستعمل للإشارة للقريب، في حين أن المشار إليه كان بعيدا عنهم،ولم يكن موجودا بالقرب منهم،لكن حالة الاستدعاء الذهني للمخاطب جعلت الإمام يستعمله،ويكني عنه بـ(أخو غامد) ولم يذكر اسمه . سفيان بن عوف بن المغفل . مثلا أو لقبه الغامدي ،ذلك لان المقام لا يسمح بذلك، كما أن الكنية تقوم مقام الاسم فيعرف بها [٥٧].

فضلا عن ذلك فان استعمال اسم الإشارة للبعيد يفيد التحقير وهذا الأسلوب ورد في القرآن الكريم قال تعالى على لسان إبليس: (قال أرءيتك هذا الذي كرّمت عليّ لئن أخرتنِ إلى يوم القيامة لأحتنكنّ ذريّته إلاّ قليلا) [٥٨].

ونجده في موضع آخر يقدم المفعول به على الفاعل : ((ما نال رجلا منهم كلم،ولا أريق لهم دم)) [٥٩] وإذا رتبنا الجملة الأولى بترتيبها الاعتيادي تصير (ما نال كلم رجلا منهم) والعلة في هذا التقديم أن الكلام في صدد تبعيد أن يجرح احدهم ولو بخدش بسيط فلو قال: (ما نال كلم رجلا منهم)، لربما يتسلل الوهم للمخاطب أن بعضهم جرح جرحا بسيطا ثم أنه قدم كلمة (رجلا) للاهتمام بأنه لم يجرح .ثم لاحظ التقابل الصوتي بين الجملتين:

فما نال رجلا منهم كلم

ولا أُريق = لهم دم

وبني الجملة الثانية للمجهول لأنه لم تحدث الإراقة فلا فاعل لها أصلا. وربما يأتي فعل وله أربعة مفاعيل باستعمال أسلوب العطف لاحظ قوله : ((ينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعاثها)) [٦٠] فجاء الفعل ينتزع وهو يحمل دلالة القوة والغصب والقهر والغلبة فلم يقل:يأخذ، يسرق ،ينهب ،بل ينتزع فكانت المفاعيل ما تقتنيه المرأة من مجوهرات ذهبية أو فضية. ومهما يكن من شيء فلعل الاختيار أن لم يفهم فهما حرفيا من انه استحضار لإمكانيات عديدة ثم انتقاء الأنسب من بينها،لعله، أن لم يفهم كذلك ،يكون مقياسا ناجعا في تحليل النص[٦١].

وثمة ظاهرة انزياحية بارزة تتمثل في تكرار الفعل المبني للمجهول في أكثر من موضع منها:

دُيث بالصغار / ضُرب على قلبه بالإسداد /مُنع النصف / ما غُزي قوم قط / شُنت عليكم الغارات /مُلكت عليكم الأوطان / ولا أُريق لهم دم / غرضا يُرمى /تُغزون ولا تغزون / يُعصى الله/ يُميت القلب / يُجلب الهم ...

أما سبب بناء هذه الأفعال للمجهول فكان الغرض منه إسنادها إلى كل المخاطبين وليس لفاعل مخصوص[٦٢].وتأثر الإمام بالقرآن واضح فهو إذا كان في مقام المدح اسند ذلك لفاعل معلوم كقوله :

((فتحه الله لخاصة أوليائه)) [٦٣]، أما إذا كان في مقام ذم اسند الفعل للمجهول ولم يظهره كقوله : ((ويعصى الله وترضون)) [٦٤].

فضلا عن ذلك هناك انزياحات حدثت بالإضافة منها قوله: (درع الله الحصينة) إذ أضاف الدرع إلى الله سبحانه وتعالى والغرض منه التعظيم؛ لأن إضافة الأشياء إلى الله سبحانه وتعالى الهدف منها التعظيم ((لأنه لا يضاف إليه إلا العظيم)) [٦٥].

ومن أساليب الانزياح التركيبي الأخرى الاعتراض إذ إنه يقطع الجملة ويعتمد على مفاجأة المتلقي فهو يعتقد بإكمال الجملة من المتكلم فإذا هو بكلام جديد : ((فيا عجبا! . والله يميت القلب،ويجلب الهم . من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم)) [٦٦] نلاحظ أن الجملة الاعتراضية هي جملة القسم وإذا ما حذفت لم تؤثر في الجملة الأصلية لكن تأثيرها على النص ككل لان الهدف منها التوجع والتحسر،ناهيك عن المقابلات الطباقية بين (باطلهم ×حقكم) و (اجتماعهم × تفرقكم).

ومنه قوله : ((لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم معرفة . والله . جرَّتْ ندما،أعقبتْ سدما)) [٦٧] فالاعتراض هنا بالقسم أيضا لكن المفاجأة في فاعل جرّتْ وأعقبتْ أ هو الرؤية أم المعرفة أم الأمور التي آلت إليها المعرفة؟

((ويكاد البلاغيون يجمعون على أن الاعتراض يعتمد على تحريك الألفاظ من أماكنها الأصلية لكي تفسح المكان لعنصر جديد مفرد أو مركب ودخول هذا العنصر يقطع الدلالة المتصلة في الترتيب الأصلي،ثم يعود الترتيب إلى تمامه بعد دخوله فيتم المعنى،بحيث لو اسقط العنصر الدخيل لبقي الأول على حاله في الإفادة))[٦٨]. لكن هذا الإقحام في الاعتراض له مسوغ أسلوبي كأن يأتي للتأكيد كما في القسم ،وللتفسير أو غير ذلك.

الخلاصة:

لاحظ البحث في التمهيد كثرة المسميات والترجمات لمفهوم الانزياح،وأن دل هذا على شيء فهو يدل على أهمية هذا المفهوم واتساع استعماله بحيث اتفق على معناه العرب من قدامى ومحدثين ومن الأجانب مثلهم.

اختار الباحث خطبة الجهاد كنموذج نصي من نهج البلاغة لما له من أهمية إذ نقلتها أشهر كتب الأدب العامة،كما تضمنت ثلاث جوانب هي الجانب الديني والنفسي والتعبيري الإبداعي وهو ما قامت عليه الدراسة.

حفلت الخطبة بالانزياح بنوعيه الاستبدالي والتركيبي إذ تضافرا في بيان شعرية الخطبة،وتجلى الانزياح الاستبدالي في الاستعارات التي وظفها المنشئ لتصوير ما لحق به من غيض وأذى من أفعال رعيته.ثم

كان للمجاز المرسل دور لا يقل أهمية عن الاستعارة في انزياحه عن الأصل في استبدل المفردات.وكل ذلك كان مستوحى من القرآن الكريم،فهو يجسد الأمور المعنوية تارة، وتارة أخرى يستعمل الأفعال المتضادة المختلفة لتصوير المواقف المضطربة .

معضدا هذه الصور بالجناس والطباق والسجع مما زاد في الزخم الموسيقي في هذه الخطبة. في حين تمثل الانزياح التركيبي بالحذف والتقديم والتأخير والإضافة والتكرار،إذ قام الباث بحذف المبتدءات لخلق توازن صوتي بين المفردات،ومفاجأة المتلقي وإشغال ذهنه بالتأويل والتقدير.أما التقديم والتأخير فكان الهدف منه التأثير في المتلقي.أما التكرار ولاسيما تكرار الفعل المبني للمجهول فكان الغرض منه نسب هذه الأفعال لكل المخاطبين وليس لفاعل محدد.ثم كان الاعتراض للتأكيد وهكذا كان لكل انزياح وظيفة فنية كان أبرزها مفاجأة المتلقي.

هوامش البحث

(١) ينظر: الانزياح من منظور الدراسات الأسلوب،أحمد محمد الويس :٢٩-٦٩،نظرية المصطلح النقدي:٢٧٢-٣٧٩.

(٢) ينظر: نظرية المصطلح النقدي:٣٧٢.

(٣) ينظر : الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب،عباس الدده:٦١-٦٧.

(٤) ينظر : دلائل الإعجاز:٤٣٠.

(٥) ينظر :نظرية المصطلح النقدي،عزت محمد جاد:٣٧٢.

(٦) ينظر :الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية،أحمد محمد الويس:٣٤.

(٧) ينظر :القاموس المحيط الفيروزآبادي:مادة (نزح).

(٨) ينظر :الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية:٣٣.

(٩)الشعرية،أحمد مطلوب:٤٦.

(١٠) في الشعرية،كمال أبو ديب:٥٨.

(١١) المصدر نفسه:٥٧.

(١٢) المصدر نفسه:٥٧.

(١٣) ينظر:فلسفة البلاغة :٥١،٥٢.

(١٤) ينظر:الأسلوب والأسلوبية :٧٧،٧٨.

(١٥) ينظر:نظرية المصطلح النقدي: ٣٧٣.

(١٦) ينظر:الشعرية،أحمد مطلوب :٧٧،٧٨.

(١٧) ينظر:البيان والتبيين،تحقيق:عبد السلام محمد هاورن:٥٣،٥٤.

(١٨) ينظر:الكامل في اللغة والأدب،تحقيق:د. يحيى مراد:٦٥،٦٦.

(١٩) ينظر:العقد الفريد،ابن عبد ربه الاندلسي:٢٤٦/٣.

(٢٠)نهج البلاغة،جمع الشريف الرضي،شرح محمد عبده: ٦٠ -٦٢.

(٢١) ينظر :الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية،أحمد محمد الويس:١١١.

(٢٢) ينظر: بنية اللغة الشعرية ،جون كوهن:٢٠٥.

(٢٣) نهج البلاغة،جمع الشريف الرضي،شرح محمد عبده:٦٢.

(٢٤) ينظر القاموس المحيط الفيروسآبادي:مادة(قيح).

(٢٥) سورة يس ، الاية٤١.

(٢٦) نهج البلاغة،جمع الشريف الرضي،شرح محمد عبده:٦٠.

(٢٧) نهج البلاغة،جمع الشريف الرضي،شرح محمد عبده:٦٢.

(٢٨) سورة النحل ، الاية١١٢.

(٢٩) نهج البلاغة،جمع الشريف الرضي،شرح محمد عبده:٦٠.

(٣٠) سورة الكهف ، الاية١١.

(٣١) سورة الأعراف ، الاية٢٦.

(٣٢) ينظر :بنية اللغة الشعرية،جان كوهن:١٢٢.

(٣٣) نهج البلاغة،جمع الشريف الرضي،شرح محمد عبده:٦١.

(٣٤) المصدر نفسه:٦٢.

(٣٥) ينظر :فقه اللغة وسر العربية،الثعالبي:

(٣٦) نهج البلاغة،جمع الشريف الرضي،شرح محمد عبده:٦١.

(٣٧) ينظر :في ظلال نهج البلاغة،محمد جواد مغنية:٣٨٣.

(٣٨) سورة النحل ، الاية١١٢.

(٣٩) ينظر:المستويات الجمالية في نهج البلاغة دراسة في شعرية النثر:٢٤٤.

(٤٠) نهج البلاغة،جمع الشريف الرضي،شرح محمد عبده:٦١.

(٤١) الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغة عند العرب ،د.عباس الدده:٢٨٣.

(٤٢) نهج البلاغة،جمع الشريف الرضي،شرح محمد عبده:٦١.

(٤٣) ينظر:المفردات،الراغب الاصفهاني:٢٤٦. وقد ورد ذلك في القرآن ومنه قوله تعالى:[وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ فَإِذا هُمْ مُظْلِمُونَ] سورة يس الاية،٣٧.

(٤٤) المصدر نفسه:٦٢.

(٤٥) ينظر:قضايا الشعر المعاصر،نازك الملائكة:٣٩.

(٤٦) ينظر:بنية اللغة الشعرية:٩.

(٤٧)نهج البلاغة،جمع الشريف الرضي،شرح محمد عبده:٦٢.

(٤٨) ينظر المفردات في غريب القرآن:٢١٧.

(٤٩)نهج البلاغة،جمع الشريف الرضي،شرح محمد عبده:٦١.

(٥٠) ينظر:الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية:١٢٠.

(٥١) ينظر:بنية اللغة الشعرية:١٧٩.

(٥٢) نهج البلاغة،جمع الشريف الرضي،شرح محمد عبده:٦٠.

(٥٣) نهج البلاغة،جمع الشريف الرضي،شرح محمد عبده:٦١.

(٥٤) ينظر:القاموس المحيط الفيروزآبادي:مادة (حجل).

(٥٥) نهج البلاغة،جمع الشريف الرضي،شرح محمد عبده:٦١.

(٥٦) ينظر:بنية اللغة الشعرية:١٨٨.

(٥٧) ينظر:لسان العرب، ابن منظور مادة (كنى)

(٥٨) سورة الاسراء ، الاية٦٢.

(٥٩) نهج البلاغة،جمع الشريف الرضي،شرح محمد عبده:٦١.

(٦٠) نهج البلاغة،جمع الشريف الرضي،شرح محمد عبده:٦٤.

(٦١) ينظر:الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية:١٢٠.

(٦٢) ينظر:معاني النحو،فاضل السامرائي:٦٣/٢.

(٦٣) نهج البلاغة،جمع الشريف الرضي،شرح محمد عبده:٦٠.

(٦٤) المصدر نفسه:٦١.

(٦٥) فقه اللغة وسر العربية، الثعالبي:٢٥٧.

(٦٦) نهج البلاغة،جمع الشريف الرضي،شرح محمد عبده:٦١.

(٦٧) نهج البلاغة،جمع الشريف الرضي،شرح محمد عبده:٦٢.

(٦٨) جدلية الإفراد والتركيب، د.صلاح فضل:١٦٥-١٦٦.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

- اتجاهات الشعرية الحديثة،د.يوسف اسكندر،دار الكتب العالمية بيروت،ط١، ٢٠٠٢م.
- الأسلوب والأسلوبية ند.عبد السلام المسدي،دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت،ط ٥، ٢٠٠٦م.
- الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب،د.عباس رشيد الددة،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،ط١ ،٢٠٠٩م.
- الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية،أحمد محمد الويس،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ٢٠٠٥م.
- بلاغة الخطاب وعلم النص،د.صلاح فضل،الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان،مصر،ط١ ،١٩٩٦م.
- بنية اللغة الشعرية، جان كوهن،ترجمة محمد المولى،ومحمد العمري،المعرفة الأدبية،سوشبريس،الدار البيضاء.
- البيان والتبيين،لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت٢٥٥هـ)،تح:عبد السلام محمد هارون،دار الجيل،(د،ت).
- جدلية الإفراد والتركيب،د.محمد عبد المطلب،الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان،مصر،ط٣، ٢٠١٠م.
- دلائل الإعجاز،عبد القاهر الجرجاني،تح:محمود محمد شاكر،مطبعة المدني،السعودية، ط٣ ،١٩٩٢م.
- الشعرية،د.أحمد مطلوب،مجلة المجمع العلمي العراقي الجلد الأربعون،ج٣، ٤، بغداد،١٩٨٩م.
- العقد الغريد،شهاب الدين أحمد المعروف بابن ربه الأندلسي،تقديم خليل شرف الدين،دار ومكتبة الهلال،بيروت لبنان،ط الاخيرة،١٩٩٩.
- الكامل في اللغة والأدب،لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد(ت٢٨٥هـ)،تح:د.يحيى مراد،مؤسسة المختار،مصر،ط١، ١٤٢٥هـ /٢٠٠٤م.
- فقه اللغة وسر العربية،أبو منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ) ،تح:عبد الرزّاق المهدي،دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان،ط ١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
- في الشعرية،كمال أبو ديب،مؤسسة الأبحاث العربية.

- فلسفة البلاغة،رتشاردز ،ترجمة ناصر حلاوي وسعيد الغانمي،نشر في مجلة العرب والفكر العالمي،العدد١٤،١٣ ربيع ١٩٩١.
- في ظلال نهج البلاغة محاولة لفه جديد،شرح محمد جواد مغنية،تحقيق سامي الغريري،مؤسسة الكتاب الإسلامي،ط١ ،٢٠٠٥.
- قضايا الشعر المعاصر ،نازك الملائكة،منشورات دار الاداب،بيروت،ط١٩٦٢،١م.
- القاموس المحيط،الفيروزآبادي،اعداد وتقديم:محمد عبد الرحمن المرعشي،دار أحياء التراث العربي،بيوت . لبنان،ط ٢،٢٠٠٣م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور (ت٧١١هـ)، تحقيق أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد صادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، ط،١(٢٠٠٥م).
- المستويات الجمالية في نهج البلاغة،دراسة في شعرية النثر ،نوفل أبو رغيف، دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد ،ط١ ،٢٠٠٨م.
- معني النحو ،د.فاضل صالح السامرائي،دار الفكر ،بيروت . لبنان،ط٢،١٤٢٣هـ /٢٠٠٣م.
- المفردات في غريب القرآن،الراغب الاصفهاني،تح:هيثم طعيمي،دار أحياء التراث العربي،بيوت . لبنان،ط ١،٢٠٠٢م.
- نظرية البنائية،د.صلاح فضل،مكتبة الانجلو ،القاهرة، ط١ ، ١٩٨٠م.
- نظرية المصطلح النقدي،د.عزت محمد جاد ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠٠٢م.
- نهج البلاغة،جمع الشريف الرضي،شرح محمد عبده،دار المحجة البيضاء،بيروت . لبنان،ط١٤٢٩،١هـ /٢٠٠٨م.

(Oration al Jihad (holy war)for Al _Imam Ali in the light poetics deviation)

By: Dr.Dhahir Muhsin Jasim

Abstract

This research aims to study Oration al Jihad for Al _Imam Ali, it is divided in to two parts : The first deals with meaning of poetics deviation , the second about the poetics deviation in oration, Its tow kinds: one paradigmatic deviation, Its included metaphor, figures speech and personification…The two abut synthesis deviation ,Its included deletion, presentation, postponement and simile, Also it have alliterative , antithesis and diction. The purpose of all them it images states and different of peoples doing.